Journal of University Studies for inclusive Research
Vol.1, Issue 6 (2021), 1213-1235
USRIJ Pvt. Ltd.,

التجديد في لزوميات المعري

(دراسة وصفية تحليلية)

إعداد الباحث

خالد بن أسيمر البلوي

KHALED OSAIMER AL-BELWI

المملكة العربية السعودية

منطقة المدينة المنورة- ينبع الصناعية

Belwi00@gmail.com

ملخص البحث:

يقف العصر العباسي شامخًا كالطود بين عصور الأدب ، فهو عصر تفجرت فيه ينابيع المعرفة وتَعَدَّدَتْ مشاربها ، فبلغت فيه العلوم أوج نضجها ، ولهذا فهو بحق عصر ذهبي من حيث نضج العلم والأدب .

والصراع بين التقليد والتجديد صراع يَمْتَدُّ إلى زمن بعيد ؛ لأنه يُعَبِّرُ عن معنى الحياة ومحاولة الإنسان التكيف مع بيئته ومشاكل عصره، ويشتد هذا الصراع في فترات التطور الاجتماعي والسياسي وما يصحبها من تطور فكري بسبب انقسام المجتمع فريقين يتبادلان الريبة والظنة : فريق يندفع في تطوره ويغلو في تصوره المعاصر ، فيحاول التَّحَلُّلَ من كل ما يَمُتُّ إلى القديم ، وآخر يَتَشَبَّثُ بالماضي بكل ما لديه من قوة مفضلا الانطواء في عالمه ، يَجْتَرُّ ما لديه من زاد فكري . والقديم والجديد عنصران مهمان من عناصر الحياة ، فليس هناك جديد بلا قديم، ولا يُعْرَفُ قديم بغير جديد ، والتجديد لا يعني التغيير المطلق، بل يعني حدوث تَطَوُّرٍ في بعض العناصر، مع بقاء الهيئة الأصلية والأساس القديم ، ولا تصح الحياة النفسية لمجتمع إلا بالتمازج والتفاعل بين القديم والجديد .

وأبو العلاء المعري شاعر له وزنه في ديوان الشعر العربي وبين فحول شعرائه ، وهو مدرسة لدارسي اللغة العربية وآدابها ، فلا يدخل أديب أو شاعر في زمرة الأدباء أو الشعراء إذا هو لم يمر بهذه المدرسة يعيش فيها زمنًا - طال أو قصر- ناظرًا ودارسًا ومتزودًا لشعر أبي العلاء المعري .

و(لزوم مالا يلزم) ديوانه الذي نظمه بعد العزلة ، وهي الوثيقة الدقيقة التي سَجَّلَتْ في صدق خلاصة فكر المعري ومواقفه من الحياة والكون، وهي أيضًا الصورة الواضحة التي تحدد معالم مذهبه الفني الذي استقر عليه بعد عزلة إذ استطاع أن يمزج بين الفكر والإحساس ، وأن يمزج بين العاطفة والصورة والأداء اللفظي بصورة جعلت القصيدة نموذجًا فنيًّا جيدًا ؛ فالشعر عند المعري وسيلة للفكر المتأمل ، وبوتقة يسكن فيها الوجدان الصادق ، وتعبير مشع عن الحقائق ، وهو بذلك يقدم رؤية فكرية جديدة ترتكز على العقلانية والتحليل المنطقي .

وفي أبي العلاء المعري أكثر من جانب يدعو الناس للنَّظَرِ إليه , فهو شاعر وأديب وحكيم وفقيه وفيلسوف ولغوي وناقد، راصد لكل مجريات الحياة ، مُصَوِّرٌ كل ذلك في أدبه , فكان فكره يزداد مع الأيام قوةً وتماسكًا ، ويتميز أبو العلاء باطلاع شامل قل أن نجد نظيره ، وذاكرة عجيبة تستوعب ذلك الشمول بدقائقه وتفصيلاته ، ولديه كل أدوات الناقد من ذوق وقدرة على المقارنة والحكم ، مما جعله يَتَحَوَّلُ من شاعر يَتَخَيَّل إلى ناقد يُحَلِّل ويُعَلِّل .

ترك أبو العلاء المعري تراثًا عظيمًا في الشعر والأدب والفلسفة ، ظَلَّ موردًا لا ينضب للدارسين والباحثين على مر العصور ، فقد شغل الناس والنقاد الباحثين بشعره ، وكان له أكبر الأثر في فكر كثير من المفكرين والعلماء والأدباء وعقلهم في شتى الأنحاء . ويَحْتَلُّ المعري - بنتاجه الشعري وتراثه الفكري - مكانة مرموقة في تراثنا العربي ، وهذا محل عناية المستشرقين والدارسين الغرب ، وقد عُنِيَ كبار كتابنا بفكره وفنـه كالدكتور طه حسين وغيره.

كلمات مفتاحية : مفتاح التجديد ،المادة اللغوية ، المضامين الشعرية .

Abstract

The Abbasid era stands as lofty as the border between the eras of literature, as it is an era in which the springs of knowledge exploded and its paths multiplied, and the sciences reached their maturity, and for this it is truly a golden age in terms of the maturity of science and literature.

The struggle between tradition and renewal is a struggle that goes back a long time. Because it expresses the meaning of life and man’s attempt to adapt to his environment and the problems of his time, and this conflict intensifies during periods of social and political development and the intellectual development that accompanies it due to the division of society. The old one, and another clinging to the past with all his strength, preferring to be introverted in his world, rubs off on his intellectual excess. The old and the new are two important elements of life, so there is no new without the old, and an old is not known without something new, and renewal does not mean absolute change, but rather a development in some elements, with the survival of the original body and the old foundation, and the psychological life of a society is not correct except through mixing and interaction between Old and new.

Abu Al-Alaa Al-Maari is a poet with great weight in the Divan of Arabic poetry and among his poets. It is a school for students of Arabic language and literature. Ala Al Maari.

And (the necessity of unnecessary) his book which he organized after isolation, which is the accurate document that recorded the sincerity of Al-Maari's thought and his attitudes towards life and the universe, and it is also the clear picture that defines the features of his artistic doctrine, which he settled upon after isolation, as he was able to mix thought and feeling, and that He combined emotion, image and verbal performance in a way that made the poem a good artistic model; For Al-Maari, poetry is a means of contemplative thought, a melting pot in which sincere sentiment dwells, and a radiant expression of facts, and thus it presents a new intellectual vision based on rationality and logical analysis.

And in Abu Al-Alaa Al-Maari there is more than one aspect that calls people to look at, for he is a poet, writer, wise man, jurist, philosopher, linguist, and critic, observing all the course of life, depicting all of this in his literature. And a wonderful memory that accommodates that comprehensiveness with its subtleties and details, and has all the tools of the critic of taste and the ability to compare and judge, which made him transform from a poet to be imagined into a critic who analyzes and justifies.

Abu Al-Ala Al-Maari left a great legacy in poetry, literature and philosophy, which has remained an inexhaustible resource for scholars and researchers throughout the ages, and has had the greatest impact on the thought and mind of many thinkers, scholars, and writers in various parts. Al-Ma'ari - with his poetic output and intellectual heritage - occupies a prominent place in our Arab heritage, and this is the concern of orientalists and Western scholars, and our great writers have been concerned with his thought and art such as Dr. Taha Hussein and others.

Keywords: the key to renewal, linguistic material, poetic contents.

المقدمة :

الحمد لله العليم المنان ، خلق الإنسان علمه البيان ، والصلاة والسلام على خير ولد عدنان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفصح الناطقين وأبلغ المتكلمين ، وعلى آله وصحبه نجوم الهدى وحملة راية العلم والعرفان، وبعد :

فاللغة العربية لغة عريقة ، وخدمتها عمل جليل ، والأدب العربي فرع من دوحتها العظيمة ، وهو فَنٌّ ينبع من مواهب إلهية منحها الله تعالى لبعض خلقه وحرمها آخرين .

كان أبو العلاء المعري غزير الأدب ، حسن الشعر ، متضلعًا في فنون الأدب ، حتى أصبح في عصره حجة الأدب ، وموئل الشعر ، وبيت الحكمة . وثقافة المعري وسعة اطلاعه على مختلف الفنون الأدبية للسابقين ودواوين الشعراء ومذاهبهم واتجاهاتهم الفنية كان لها الدور في خلق إمكانياته.

ويُعَدُّ المعري آخر عمالقة الشعر القديم فقد ارتفع بشعره إلى مستوى إنساني رفيع عن طريق المزاوجة النادرة بين الفن والفلسفة ، فكان شعره طريفًا شكلا ومحتوى ، ولَعَلَّ تَمَيُّزَهُ من - بين أدباء العربية القدامى وعدد من المحدثين - بالنَّزْعة التَّأمُّلِيَّة ، وموقفه من الحياة والناس إلى جانب قِلَّةِ اهتمام القدامى والْمُحْدَثِينَ بأدبه بالقياس إلى ما أولوه شعراء آخرين كأبي تمام والبحتري والمتنبي هذا الذي دفعنا إلى الوقوف عند أدبه بما يَتَضَمَّنُهُ من أفكار جريئة وآراء جديدة، وأمّا تجديده في الأشكال فحدث ولا حرج ، فقد قال يومًا :

وإني وإن كُنْتُ الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما لم تَسْتَطِعْهُ الأوائلُ

(المعري ،أحمد ، 1428هـ ، ص(181))

ولأبي العلاء المعري مقام فريد بين شعراء العربية من حيث أسلوبه ، حيث جاء شعره وثيق الصلة بنفسه , فهو ذو أصالة فردية اتضحت شخصيته في شعره , فله عالمه الخاص الذي تتحقق فيه رؤيته وموقفه الفكري وبناؤه الفني , فتجربته الشعرية تجاوزت الحدود التي كانت تنطلق منها قصائد الشعراء السابقين , فلم تكن تجربته تعبيرًا فحسب عن مشاعر ذاتية تنشأ لظروف خاصة ، وإنما تجربة مكثفة تستكشف موقفه من الحياة ، فالرؤيا الشعرية عند المعري اختلجت في روحه أَلَمًا ، وتَحَوَّلَتْ بقدرته الفنية إلى خصوصية في تجربة شعرية مميزة ، تدفقت فيها روح الأديب وحريته ، وبعثت في نفوسنا أَثَرًا نتذوق به إحساسه وانفعاله في مادةٍ حَيَّةٍ مؤثرة على الدوام.

إِنْطَلَقَ أبو العلاء المعري بالشعر من النِّطَاقِ الإقليمي والقومي إلى رحاب الشعر العالمي ، ونقل الشعر نَقْلَةً يجب الوقوف عندها ، حيث جاء شعره تعبيرًا عن المجتمع والطبيعة متجاوزًا حدود الزمان والمكان.

وشخصية أبي العلاء المعري واحدة من أهم الشخصيات التي تَمَّ استحضارها في لغة الشعر العربي الحديث والمعاصر ، فاختلف الناس في توظيف هذه الشخصية فمنهم من أعطاها قيمة إنسانية عظمى في تاريخ البشرية ، ومنهم من أسقطها , ومنهم من كانوا سلبيين في استحضار شخصية المعري ولم يوفقوا في استحضارها بشكل فَنِّيٍّ رَاقٍ ، وحَسْبُ أبا العلاء المعري إنصافًا له واعترافًا بدوره في تاريخ الشعر العربي أن نُسَجِّلَ له أنه ظَلَّ على امتداد القرون يحتل قمة شامخة متميزة بين قمم الشعر العربي .

مشكلة الدراسة:

لقد كان حلم المعري إنسانيًّا إلى درجة مثالية ، فلقد حلم بصفاء البشرية ، وأدان كل ما يُعَكِّرُ هذا الصفو ، وهاجمه في شعره ، وفارقه في نهج حياته ، ودفعه هذا كله إلى التجديد في الشعر فكانت دواوينه أبعد عن الأغراض التقليدية بل كلها حكمة ونقد وإصلاح ، وأمّا تجديده في الأشكال فحدث ولا حرج .

على يد أبي العلاء المعري خرج الشعر من دائرته الضَيِّقَةِ دائرة العبث والفردية والقبلية والقدح والمدح والارتزاق الرخيص ، ليدخل إلى دائرة أوسع مداها الكون والإنسان حيث يتم تسجيل المواقف من القيم والحقائق وكشف الزيف فيها بقصد التغيير ، وهذه هي الدائرة العالمية للشعر . فلم يَعُد الشعر في مفهوم أبي العلاء المعري إذن وسيلة للعيش الرخيص أو الكذب المغلف أو الشَّتْمِ ، بل أصبح وسيلة للفكر المتأمل، وكل هذا مظهر من مظاهر التجديد في المضامين .

فرضيات الدراسة :

- ما اللزوم العلائي ؟
- ما مفتاح التجديد في شعر أبي العلاء المعري في ديوانه (لزوم ما لا يلزم) ؟
- ما مظاهر التجديد في شعره (اللزوميات) ؟

أهداف الدراسة :

- إبراز جرأة المعري في مهاجمة ما يراه فاسدًا ، وصَرْفه الشعر إلى مواضيع إنسانية أخلاقية ، وانعدام الهوى بين أقواله وأفعاله وثقافته الواسعة وبعد نظره ، وشاعريته المميزة هي التي أَحَلَّته هذه المنزلة الرفيعة في الشعر . وهي التي تُعْطِي بحثنا أهميته وموضوعنا مشروعيته .

- إبراز خصائص الأسلوب عند المعري وأهمية دراسة الأشكال الشعرية في الدراسات الأدبية فهي الوجه الْمُتَمِّمُ لدراسة المضامين.

- الشعر عند المعري وسيلة للفكر المتأمل ، وبوتقة يسكن فيها الوجدان الصادق، وتعبير مشع عن الحقائق، وهو بذلك يقدم رؤية فكرية جديدة ترتكز على العقلانية والتحليل المنطقي .

أهمية الدراسة :

- قَدَّمَ المعري نموذجًا للمفكر والأديب والشاعر الذي توافق أفعاله أقواله وتتطابق أقواله مع أفكاره ومعتقداته.

- يُعَدُّ المعري شخصية متميزة فريدة في الأدب والفكر العربي شَكَّلَت انقلابًا على الثقافة السائدة في عصره والتقاليد التي أرساها من سبقوه

- كَرَّسَ المعري شعره للتعبير عن تجربته الخاصة وتأملاته ونظراته في الحياة والناس والوجود ، وهي نظرات وتأملات أعلت من قيمة الأدب ودوره في زمن عَمَّتْ فيه الخرافات والجهل.

- لم يُدْرَس الموضوعُ دراسة مباشرة بهذه الصيغة التي قدمناها، لم توجد دراسات تناولت شعر أبي العلاء المعري تناولا شكليًّا صِرْفًا ولم تنظر في طريقة هندسته القصائد ، وموازينه المفضلة، وقوافيه ، وظواهره البديعية المفضلة ، وصوره البيانية المحببة لديه .

حدود الدراسة :

يُعنى البحث بديوان المعري (لزوم مالا يلزم) ، وهي الوثيقة الدقيقة التي سَجَّلَتْ في صدق خلاصة فكر المعري ومواقفه من الحياة والكون إذ استطاع أن يمزج بين الفكر والإحساس ، وبين العاطفة والصورة والأداء اللفظي بصورة جعلت القصيدة نموذجًا فنيًّا جيدًا.

منهجية الدراسة :

يعتمد البحث منهجًا مُزْدَوَجًا فهو من ناحية يُقَدِّمُ عملا وصفيًّا، ومن ناحية أخرى يرمي إلى غاية تحليلية.

أدوات البحث :

استعراض مظاهر التجديد عند أبي العلاء المعري في ديوانه (لزوم ما لا يلزم)، وتناول شعره تناولًا شكليًّا صِرْفًا في طريقة هندسته القصائد، وموازينه المفضلة وقوافيه، وظواهره البديعية المفضلة، وصوره البيانية المحببة لديه.

مصطلحات البحث:

- التجديد : إبراز دور التجديد في الحياة العباسية واكتمال نموه وتطوره في عهد المعري .
- اللزوميات : اِلْتَزَمَ المعري ثلاث لوازم ، فنظم لزومياته ملتزمًا منهجًا ثابتًا : فالتزم أن يُرَتِّبَ قصائده ومقطوعاته على ترتيب البحور العروضية ، والتزم - من ناحية ثانية - أن يُرَتِّبَ قوافيها على ترتيب حروف المعجم جميعًا ، والتزم - من ناحية ثالثة - قبل حرف الرَّوِيِّ حرفًا آخر أو أكثر من الحروف الهجائية ، فبعد أن كان الشعر العربي مقيدًا بقيدين هما الوزن والقافية ، أضاف إليه المعري قيدًا ثالثًا وهو هذا الحرف الملتزم في القصيدة قبل حرف الروي.
- التجديد في بناء القصيدة : الضغط الذي تحدثه الظروف الواقعية سواء أكانت اجتماعية أم سياسية أم نفسية تجعل الشاعر يتسرع لإفراغ شحناته الفكرية والعاطفية فيهجم على الموضوع الذي يشغل تفكيره ووجدانه دون أن يجعل لعمله الإبداعي بسطًا من الطلل أو النسيب أو الرحلة.
- الشعر الفلسفي : تقريب المسافة بين الشعر والفلسفة .
- مناجاة الحيوان : حاور الديك والذئب والشاة وحذر الثعلب وانتقد الحمامة .

اللزوم العلائي :

إنَّ ديوان (لزوم ما لا يلزم) مَصْدَرٌ وَافٍ لكثير من المعارف، وهو بهذا يتجاوز حدود الشعر ودواوينه ، وهو مصدر للعربية، نجد فيه الفرائد والنوادر ، إنَّه وثيقة أراد بها أبو العلاء المعري أن يَظْهَرَ على رجال عصره من أهل العلم كافة .

حَفِلَتْ لزوميات أبي العلاء المعري بشيء غير قليل من المعاني الجديدة والرؤية الإنسانية الواعية، فقد أَكَبَّ على مخزونه الثقافي والعلمي ، وغرف من وجدانه وأحاسيسه وفكره، فطلع بشعر إبداعي جديد كل الجدة ، حيث تفاعلت أفكاره مع شخصيته فتمثلت خَلْقًا جديدًا في كثير من الأحيان .

وعَبَّرَ في ديوانه (لزوم ما لا يلزم) عما تنفعل به نفسه في ظروفها وحالاتها ، كما صَوَّرَ ما يشغل تفكيره تجاه مختلف قضايا الحياة، فأصبح شعره صورة حَيَّةً لاتجاهه الفكري والنفسي ، فقد ظهرت شخصيته جلية في شعره.

أراد أبو العلاء المعري أن يُوَسِّعَ دائرة الشعر لِتَضُمَّ خطرات الفكر وسعة النظر إلى ما حوله من ملل ونحل وعادات ، وهو في هذا يعتمد على سعة معارفه في علوم عصره وما ورثته من معارف قديمة وحديثة .

مفتاح التجديد :

صَدَّرَ أبو العلاء المعري ديوانه (لزوم ما لا يلزم) بمقدمة في الشعر وشروطه وقوافيه على أسلوب انتقادي يَدُلُّ على رسوخ قدمه في اللغة والشعر ، وذكر ما التزمه في نظم هذا الديوان، " ومهما يكن فاللزوميات أول ديوان في اللغة العربية يُؤَلَّفُ على طريقة خاصة يذكرها الشاعر في مقدمته ويُطَبِّقُهَا على أبياته بيتًا بيتًا " (ضيف ، شوقي ، 1976م ، ص(399)) ، حَدَّدَ فيها المعري مقاصده وأهدافه وضبط منهجه وآراءه ومواقفه مما لم يعهد عند الشعراء قبله ، وهذه المقدمة تُمَثِّلُ " المهاد النظري لإبداع ظاهرة اللزوم يَضَعُهَا في إطارها ويُحَدِّدُ مفاهيمها وأبعادها " (عبدالعظيم ، محمد ، 2008م ، ص(376)) . وتُعَدُّ مقدمة اللزوميات مفتاح التجديد عند أبي العلاء المعري .

نَظَمَ المعري لزومياته هذه بعدما أَنِفَ من سيره في طريق سابقيه من الشعراء . إنه أراد أن يسير في طريق بِكْرٍ جديد لم يسبقه سابق من بدء الشعر العربي حتى عصره ، كما أنه أراد أن يَتَحَدَّى نفسه أو صنيعه في ديوانه (سقط الزند) . إنه أراد بلزومياته أن يَصِلَ ذروة سامقة لم تطأها قدم من قبل فكانت اللزوميات .

إن اللزوميات ليست ديوانًا شعريًّا كغيره من دواوين الشعراء الذين سبقوا المعري أو عاصروه ، وإنما هو كتاب أو مؤلف وضع له صاحبه خُطَّةً محكمةً ، ونَفَّذَهَا بدقة ووعي وإصرار، يؤيد ذلك أن المعري نفسه قد نعته بـ " التأليف " (المعري ، أحمد ، 1427هـ ، المجلد الأول ، ص(21)) ، وبـ " الكتاب " (المصدر نفسه ، ص(20)) ، كما وصف عمله بأنه تأليف .

نَسْتَقْرِئُ مقدمة اللزوميات التي كتبها المعري ، وهي مقدمة مُتَمَيِّزَةٌ لطولها وغناها ودقتها وتفصيلاتها ، لا نرى لها مثيلا في أي ديوان من دواوين العربية ، لقد بلغ عدد صفحاتها اثنتين وعشرين صفحة تقريبًا، استغرق الحديث عن المضمون فيها أقل من صفحة في أولها ، ومثل ذلك في آخرها ، وأما الباقي وقدره قرابة عشرين صفحة خَصَّصَهُ المعري للحديث عن الشكل - أي القافية وتفصيلاتها وما إلى ذلك - وقصر الحديث عن المضمون، ولَعَلَّ طول حديثه عن القافية وقصره عن المضمون يدلان على هدف المعري في لزومياته وهو التَّحَدِّي في ميدان هندسة الشكل وبنائه بِنَاءً مِعْمَارِيًّا متميزًا ، فإذا أَضَفْنَا إلى هذا أن معاني اللزوميات كانت في تمجيد الله والتحذير من الدنيا والدعوة إلى الزهد والتقشف وانحرافات مدعي التدين والتصوف ، وهذه معان أصولها ليست جديدة وإنما معروفة تجدها لدى كثير من الشعراء قبل المعري مثل أبي العتاهية والمتنبي ولكن كثرها ووسعها لتكون في ديوان كبير خاص بالمعري .

فإذا عَلِمْنَا هذا تأكد لنا رجحان أهمية جانب الشكل على جانب المضمون في اللزوميات ، وبخاصة أَنَّ المعري نفسه وفي آخر مقدمته أشار بوضوح إلى " أَنَّ من سلك في هذا الأسلوب ضعف ما ينطق به النظام لأنه يتوخى الصادقة ، ويطلب من الكلام البرة ، ولذلك ضَعُفَ كثيرٌ من شعر أمية بن أبي الصلت الثقفي ومن أخذ بفريّه من أهل الإسلام . ويروى عن الأصمعي كلام معناه : أن الشعر باب من أبواب الباطل ، فإذا أُرِيد به غير وجهه ضعف " (المصدر نفسه ، ص (26)) .

ومما يُؤَكِّدُ هذا أيضًا ذلك البَسْطُ الْمُفَصَّلُ الذي كاد أن يكون جامعًا مانعًا لعلم القوافي ، شَرَحَ المعري لوازم القافية من الحروف مثل : الروي ، والتأسيس ، والردف ، والوصل ، والخروج ، وكذلك لوازمها من الحركات مثل : الرس ، والإشباع، والحذو ، والتوجيه ، والمجرى ، والنفاذ ، كما ذكر أيضا عيوبها مثل : السناد ، والإكفاء ، ثُمَّ تَحَدَّثَ عن خَلْطِ بعض العلماء والشعراء بين الروي والوصل ، وأخطاء ترتيب القصائد في دواوين الشعراء المحدثين ، وقسم القوافي تبعًا لصفاتها إلى ذلل ونفر وحوش ، وشرح ذلك كله بتفصيل ودقة وأيده بالبراهين معتمدا على آراء كبار علماء الشعر والعروض والقوافي والنحو واللغة مثل : الخليل ، والأخفش ، والفراء ، وأبي عبيدة ، وأبي عمرو بين العلاء ، والأصمعي ، والزجاج، وابن السراج ، والجرمي ، وغيرهم ، كما أيد ذلك بكثير من الأمثلة من شعر الأقدمين الذي يحتج بأشعارهم مثل: زهير والحطيئة والحجاج وغيرهم ، موضحًا ، محللا ، مقارنًا فيما بينها ومقارنًا لها مع آرائه الكثيرة المتميزة بالعمق والدقة والذوق، التي نثرها أثناء بحثه وبسطها ودعمها بآراء العلماء وبالحجج العقلية التي تشهد له ببراعة النقد ودقة التحليل ، موافقًا لهم تارةً ، ومخالفًا تارةً أخرى ، ومعللا ذلك كله .

إِنَّنَا نستطيع أن نَعُدَّ مقدمة اللزوميات - من غير مبالغة- كِتَابًا في القوافي لولا أنه لم يذكر فيها تعريف القافية وأضربها مثل : المتكاوس ، والمتراكب ، والمتدارك ، والمتواتر ، والمترادف ، إنه بَسْطٌ كاد أن يكون جامعًا مانعًا لعلم القوافي شمل جزئياته كلها تقريبًا شمولا يجعله يَتَفَوَّقُ على غيره من كتب القوافي من حيث المعلومات وغزارتها وتفصيلاتها .

خَشِيَ المعري أن يقرأ لزومياته قارئ غير مُلِمٍّ بعلم القوافي فلا يستطيع أن يُدْرِكَ مراميه وأبعاد عبقريته وتَحَدِّيه وتَمَيُّزِه ؛ لذلك كتب هذه المقدمة الْمُتَخَصِّصَةَ ، ولقد شَرَحَ المعري العنوان الذي وضعه لديوانه هذا وهو (لزوم مالا يلزم) في مقدمته بقوله : " ومعنى هذا اللقب أَنَّ القافية تلزم لها لوازم لا يفتقر إليها حشو البيت " (المصدر نفسه ، ص (5)) .

كذلك نَوَدُّ أن نُنَبِّهَ إلى أمر مهم جاء أيضًا في مقدمة اللزوميات وهو قول المعري : " فإذا جاء في الشعر شيء قد اتفق أن يلزم قائله شيئًا غير هذه اللوازم فهو متبرع " (المصدر نفسه ، ص (18)) ، أي ألزم نفسه بما لم يلزمه به علم القوافي لِيُبَيِّنَ علمه وإمكاناته وقدرته وتميزه وتحديه للآخرين.

وفضلا عن ذلك نَرَى المعري قد وَضَّحَ أيضًا وبتفصيل ما تَمَيَّزَتْ به اللزوميات ، وذلك بقوله : " وقد بَنَيْتُ هذا الكتاب على بنية حروف المعجم " (المصدر نفسه ، ص (20)) ، وهذا أمر جديد يدل على عجب بالنفس واعتداد بالمقدرة الشخصية لم يسبق إليه أحد من الشعراء المتقدمين أو المحدثين ،

وإن كان المحدثون أَقَلُّ بعدًا من المتقدمين في نظمهم على أكثر حروف العربية، وعلل المعري تقصيرهم - كما كان يرى - بأنهم كانوا "يتبعون الخاطر كَأَنَّهُ هادي الركبان أينما سلك فهم له تابعون " (المصدر نفسه ، ص (21)) ، ويَقْصُدُ بكلامه هذا الطبع ، حيث أَنْكَرَ عليهم ذلك مع أنه الأصل في الشعر والشعراء، فالطبع هو الأول والاستجابة له هي الغاية، والشكل هو الوسيلة ، بَيْدَ أن المعري استبدل الغاية بالوسيلة والوسيلة بالغاية، وهذا الأمر الذي جعله يَعُدُّ صنيعهم تقصيرًا ودليلا على ضعفهم .

اِلْتَزَمَ المعري ثلاث لوازم ، " وقد تَكَلَّفْتُ في هذا التأليف ثلاث كلف"(المصدر نفسه ، ص (21))، فنظم لزومياته ملتزمًا منهجًا ثابتًا . فالتزم أن يُرَتِّبَ قصائده ومقطوعاته على ترتيب البحور العروضية كما رتبها الخليل ، لا من حيث أوزانها الأصلية فحسب ، ولكن من حيث تشكيلاتها الموسيقية المختلفة ، فبدأ بالبحر الطويل ، ثم انتقل إلى البسيط ، ثم الوافر، ثم الكامل ، ثم سائر البحور بحسب ترتيبها العروضي، فكان لا يأتي بوزن من الأوزان على هيئةٍ واحدةٍ ، وفي ذلك تنوع في الأنغام لا يَتَسَنَّى لو أننا قرأنا تلك اللزوميات من بحرٍ واحدٍ ، فمثلا لو قرأنا لزوميته التي تبدأ بقوله :

أُولُو الفَضْلِ في أوطانهم غرباء   تَشِـذُّ وتَنْـأَى عنهم القرباءُ

(المصدر نفسه ، ص (27))

ولزوميته التي مطلعها :

يأتي على الخلقِ إصباحٌ وإمساءُ   وكلنـا لصروف الدهر نَسَّاءُ

(المصدر نفسه ، ص (30))

ولزوميته التي مطلعها :

تعالى رازق الأحياء طُـرًّا   لقد وَهَتِ المروءة والحياء

(المصدر نفسه ، ص (32))

ولزوميته التي مطلعها :

ما لي غدوتُ كقافِ رُؤْبَة قُيِّدَتْ   في الدهر لم يُقْدَرْ لها إجراؤها

(المصدر نفسه ، ص (32))

فإننا نحصل على شيء من التنوع ، فالانتقال السريع من الطويل إلى البسيط إلى الوافر إلى الكامل يُعْطِي ثروة ووفرة نغمية.

والتزم المعري - من ناحية ثانية - أن يُرَتِّبَ قوافيها على ترتيب حروف المعجم جميعًا ، " ويعني بذلك أنه لم يترك واحدًا من حروف المعجم لم يجعله رَوِيًّا لبعض نصوص كتابه . وتلك ظاهرة مَهَّدَ لها المعري بما يوحي بأنه يعتز بانفراده بها دون سائر الشعراء ، مهما كان إنتاجهم غزيرًا " (عبدالعظيم ، محمد ، 2008م ، ص(388))

وهذا أمر سَبَقَ إليه المعري إذ لم يفعله قبله شاعر أبدًا، وبذلك كان له فضل الريادة ، ولم يكتف بهذا وإنما التزم مع كل حرف أن ينظم على حركاته الثلاث : الضمة والفتحة والكسرة ثم يأتي بعد ذلك السكون ، فجعل المعري القصائد والمقطوعات ذات الروي المرفوع تأتي قبل مثيلاتها ذات الروي المنصوب ، ثم تأتي مَثِيلاتُهَا ذات الروي المكسور بعدها ، وفي الأخير تأتي مَثِيلاتُهَا المقيدة أو ذات الروي الساكن ، " وتأليف هذه اللزوميات - من ناحية الشكل فقط - خاضع لخطة مرسومة ذات أبواب وفصول ولكنها أبواب وفصول شكلية تقوم على حروف الهجاء ، فكل حرف باب من أبواب القافية ، فصوله حركات تلحق هذا الحرف رفعًا ونصبًا وجرًا ثم سكونًا " (المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري ، 1414هـ ، ص (37)) ، يلتزم هذا الترتيب لا يخرج عليه إلا نادرًا . ويرجع " اضطلاع أبي العلاء المعري بالنظم على حروف المعجم كلها والتزام ما لا يلزم إلى تبحر نظري ، وغلو في الصنعة، لم يحفل بهما الشعر العربي في مراحله الأولى " (فخر الدين ، جودت ، 1984م ، ص (158)) ، ولقد تَفَرَّدَ بذلك المعري وسبق إليه ولا نعلم أن أحدًا من الشعراء الذين عاصروه أو جاؤوا بعده ساروا على منواله .

والتزم - من ناحية ثالثة - قبل حرف الرَّوِيّ حرفًا آخر أو أكثر من الحروف الهجائية ، فبعد أن كان الشعر العربي مقيدًا بقيدين هما الوزن والقافية ، أضاف إليه المعري قيدًا ثالثًا وهو هذا الحرف الملتزم في القصيدة قبل حرف الروي ، ولقد سبقه إليه شعراء عدة ولكن في أبيات قليلة ، وقد ذكر المعري ذلك في مقدمته وذكر أسماءهم وبعضا من أبياتهم مثل: الأعشى وطرفة بن العبد والنابغة وعمرو بن معد يكرب وكثير عزة والبحتري وابن الرومي وغيرهم .

وصف المعري التزام هؤلاء الشعراء بأنه دليل قوة ، ولو تركوه لم يَدْخُلْ أشعارهم ضعف ، لذلك سلك مسلكهم وزاد عليهم ليتحداهم وليبرهن أنه أقوى منهم ، ولقد تَمَيَّزَ المعري عليهم في جانبين :

الأول : في عدد الحروف الملتزمة إلى جانب الروي .

الثاني : التزامهم حرفًا واحدًا مع تاء التأنيث أو كاف الإضمار وهما ضعيفتان ؛ لأنهما من حروف الهمس، أو مع الهاء وهي شبيهة بحروف اللين لخفائها ، فأرادوا تقوية هذه الحروف بحرف آخر التزموه معها ، أما المعري فقد كان التزامه مع حروف قوية مثل : الباء والميم واللام وغيرها مما لا تحتاج إلى تقوية .

إن تقسيم المعري للزومياته تبعًا لحروف المعجم ولكل حركة من ضم وفتح وكسر ثم السكون ، يجعلنا أمام مهندس معمار مدقق واع قد رسم مُخَطَّطًا دقيقًا للزومياته .

ذكر المعري في نهاية مقدمته عدد فصول ديوانه وهو ثلاثة عشر ومئة فصلٍ ؛ لأن لكل حرف أربعة فصول ، فصل لكل حركة من الحركات الثلاث: الضم والفتح والكسر ثم يأتي السكون ، إلا الألف وحدها فلها فصل واحد؛ لأنها لا تكون إلا ساكنة .

-التجديد في بناء القصيدة :

أراد أبو العلاء المعري أن يُقَدِّمَ في هذا الديوان شيئًا جديدًا ، وأن يعرض فيه محاولة جديدة لتشكيل القصيدة العربية تشكيلًا هندسيًّا يقوم على مقاييس ثابتة ، ويعتمد على تخطيطٍ عَقْلِيٍّ مُنَظَّم لم يعرفه الشعراء من قبل ، " وبحق يمثل هذا الديوان كل هذه الجوانب التي كان أبو العلاء يحتلُ منها قمة الأستاذية الشامخة أروع تمثيل ، وهي قمة لم يصل إليها شاعر غيره من قبله ولا من بعده ، وإنما ظَلَّ مُنْفَرِدًا بها حتى اليوم" (خليف ، يوسف ، (د.ت)) ، وكأنه يريد أن يقول : إن الشعر عَمَلٌ صِنَاعِيٌّ يعتمد على الفكر والعقل .

بنَى أبو العلاء المعري قصائده في ديوانه (لزوم ما لا يلزم) بِنَاءً عَقْلِيًّا ، فقد اعتمد الثقافات العقلية في بناء شعره ، واتخذ منها قاعدة يقوم عليها ومادة أساسية في تشكيلاته ، واستطاع أن يُذِيبَ هذه المادة العقلية في أعماق نسيجه الفني ، فالثقافات العقلية جعلها مُقَوِّمًا أساسيًّا من مقوماته ، وقاعدة أساسية قام عليها بناؤه الفني ، وعلى امتداد (اللزوميات) يُطِلُّ علينا حشد من الثقافات التي استوعبها عقل أبي العلاء المعري ، وكأنه حريص على أن يجعل من شعره مَعْرِضًا لها يعلن عن علمه الواسع ، ومعارفه المتعددة، وقدرته على استغلالها في بنائه الفني واصطناعه لمصطلحاتها وأساليبها ، يقول المعري :

يَدُلُّ على فضل الممات وكوْنِهِ إراحةَ جسمٍ أَنَّ مَسْلَكَهُ صعبُ

(المعري ، أحمد ، 1427هـ ، المجلد الأول ، ص(51))

حيث افتتح لزوميته بعرض الأمر على أنه قضية فلسفية يُقِيمُ عليها الحجج والبراهين ، ويَصْطَنِعُ في ذلك ألفاظ الفلاسفة والمتكلمين ، فالعقل الفلسفي أنتج لصاحبه بعد التفكير والرؤية أن الحياة عناء للأجسام ، لأنها تحملها من أثقال وأعباء ما لا تحتمله إن فقدت الحياة ، إذن فالموت مريح للأجسام ؛ لأنه يلغي ما كان بينها من التضامن . ويقول المعري:

لأمواه الشَّبيبة كيف غِضْنَهْ ورَوضــات الصِّبَا كاليَبَسِ إضْنَهْ

(المصدر نفسه ، المجلد الثاني ، ص (289))

ربط أبو العلاء المعري أفكاره ومعانيه وعواطفه بقوافيه، وطَوَّعَ القافية لأدائها ، وجعلها بُنْيَةً حسية متصلة بكل جزء من أجزاء القصيدة ، يقول المعري :

ما لي غدوتُ كقافِ رُؤْبة قُيِّدَتْ في الدهر لم يُقْدَرْ لها إجراؤها
أعْلِلْتُ علة قال وهي قديمةٌ أعيا الأَطِبَّةَ كُلّهم إبراؤها

(المصدر نفسه ، المجلد الأول ، ص (34))

أشار في البيت الأول إلى أرجوزة رؤبة وقافيته المقيدة التي ألزم رويها السكون ، وهو يشير إلى حياته التي طالت عليه وألزمت سجونه الثلاثة ، وأشار في بيته الثاني إلى اعتلال (قال) وما يشبهها من الأفعال التي تنقلب وواتها وياءاتها، يريد حياته قد طالت عليه وألزمت سجونه وما فيها من عِلَلٍ وآلام .

واتجاه المعري للزوم ما لا يلزم يُقَصِّرُ نَفَسَهُ ؛ لأنه صنعة تحد فكرته ولا تتيح له طول النفس ، فكانت أكثر (اللزوميات) مقطوعات صغيرة تتراوح بين البيتين والستة وطائفة منه يرتفع بعضها إلى حوالي مئة بيت . ولعل أبا العلاء المعري كان يحس أن المقطوعات أقرب إلى تسجيل آرائه وأفكاره بدلا من تعدد الآراء والأفكار في القصائد الطويلة ، وكأنه بهذا يحاول أن يحقق لهذا الديوان الجديد وحدة موضوعية هي - بلا شك - شيء جديد في الشعر العربي .

-التجديد في المادة اللغوية :

أبو العلاء المعري ممن كانت له مقدرة لغوية كبيرة ، استطاع أن يُحِيطَ إحاطة واسعة بمفردات اللغة ، " إن المعري مشغول بسعة معارفه ولعل من أبرزها إحاطته بالعربية إحاطة لا تجدها حتى لدى الذين اشتهروا بالعلم اللغوي من اللغويين والنحاة " (السامرائي ، إبراهيم ، 1409هـ ، ص (27)) ، فأخذ نفسه بالعربية وعمد إلى التسلي بها شعرًا ، واهتم المعري باللغة وقواعدها وصرفها ونحوها وسائر ما يتصل بها من معانٍ ودلالات واصطلاحات ، وهو في هذا يعتمد ما توافر له من معين لا ينضب من معرفة لغوية واسعة ، وهذه المعرفة تتجاوز استيعابه للمعجم القديم إلى معرفة وافية بأصول العربية وأَبْنِيَتِهَا ، فاللغة عنده ليست أداة تعبير فحسب يعبر بها ويَتَلَذَّذُ بها ، وإنما لغة " تُعَبِّرُ عن آرائه من خلال تعبيرها عن نفسها .

وهو قد تجاوز التعبير باللغة إلى التعبير في اللغة وعن اللغة أي أنه لم يقف عند حدودها بل تجاوزها إلى ما وراءها " (عبدالعظيم ، محمد ، 2008م) ، فاللغة كائن تداخل معه حتى أصبح يعبر من خلاله لا به ، يقول المعري :

طَلَبْتُ مكارما فأجدتُ لفظا — كَأَنا خالدانِ على الزمانِ

(المعري ، أحمد ، المجلد الثاني ، ص (314))

عكف أبو العلاء المعري على استنباط ذاته وفجر مواهبه وعبقريته بما خلف من روائع الشعر ، فالمعري يَسْتَنْطِقُ اللغة ويُوَلِّدُهَا حتى تتكشف قدراتها وتَتَجَلَّى قدرة الإبداع فيها بَيِّنَةً جَلِيَّةً .

لقد وعى أبو العلاء المعري اللغة العربية حفظًا واستيعابًا وتعمقًا، " على أن لغة المعري كانت ظِلًّا لعالمه الفسيح ، عالم التفكير المبدع والنفس الرفيعة الخيّرة " (طاهر ، محمد ، 1407هـ ، ص (125)) ، يشهد له بذلك ثروة لغوية ضاقت بطون المعجمات عن الإحاطة بها وخبرة طويلة بالعربية بعد أن انقطع جُلَّ عمله يألف وحشيها ويأنس بآبدها .

شَهِدَ العصر العباسي ازدهارًا في مختلف مظاهر الحياة , كما نشطت الحركة العلمية في مختلف فروع المعرفة ، وتَسَرَّبَتْ بعض مصطلحات العلوم إلى لغة الأدب ، ولهذا لا تخلو منها أشعار أبي تمام والمتنبي والمعري وغيرهم ، ولكن أبا العلاء المعري من أكثر هؤلاء الشعراء استخدامًا لتلك المصطلحات في شعره ، فقد تَعَرَّضَ لموضوعات شتى من نحو وصرف وحساب وهندسة وكيمياء وفيزياء وفلك وجغرافيا وتاريخ وطب ، واستطاع بحذقه أن يُرَوِّضَ الشعر حتى أخضعه لقبول الحكمة والعلم ، واستخدم من مسائله ومصطلحاته روائع الوصف العلمي والملحوظات الفاحصة والمصطلح العلمي. يقول المعري في النحو :

تَزَوَّجْ إن أردتَ فتاة صِدْقٍ — كَمُضْمَرِ نِعْمَ دام على الضميرِ

(المعري ، أحمد ، المجلد الأول ، ص (304))

ويقول في الهندسة :

ظَلَوا كدائرة تحوَّلَ بعضها — من بَعْضِهَا فجميعها معكوسُ

(المصدر نفسه ، المجلد الثاني ، ص (27))

ويقول في المنطق :

جَرَتِ القضايا فـي الأنام وأَمْضِيَتْ — صُدُقا بأسوارٍ ولا أسوارِ

(المصدر نفسه ، المجلد الأول ، ص (313))

وَكَثْرَةُ المصطلحات العلمية في ديوان (لزوم ما لا يلزم) لها ارتباط كبير بعصر الشاعر ، وهو عصر شهد - كما قلنا - نهضة علمية وثقافية واسعة " فالروافد العلمية التي أسهمت في تغذية التيار الثقافي عند أبي العلاء هي بعينها الروافد التي جعلت من عصر أبي العلاء – بشهادة الدارسين والباحثين- من أرقى العصور في تاريخ الفكر والحضارة الإسلامية " (زيدان ، عبدالقادر ، 2006م ، ص (75)) ، وكان المعري شأنه شأن شعراء عصره مفتونًا بالثقافات على اختلاف موضوعاتها ، وعلى هذا لا يعيب الشاعر أن يُدْخِلَ في لغته الشعرية المصطلحات العلمية على أن يُخْرِجَ تلك الكلمات من دائرة العلم إلى الخَلْقِ الفني، فالمصطلحات العلمية ألفاظ كغيرها من ألفاظ اللغة ومن حَقِّ الأديب أن يستعمل منها ما يحتاج إليه ليُحَدِّد الفكرة التي يريد التعبير عنها ، والمعاني الجديدة قد تحتاج إلى لغة جديدة لأدائها أو لتطويع اللغة المستخدمة ، ولا يخفى أن كثيرًا من معاني المعري جاءت جديدة .

وجد أبو العلاء المعري في التاريخ الإسلامي وغير الإسلامي قديمه والمعاصر له مادة غزيرة غذت فنه الأدبي ، وانتفع بها إلى أبعد مدى في تأييد آرائه وتقوية حججه وتجميل منظومه ، وقد أكسبت شعره حيوية وأعانته على صوغ آرائه في الإصلاح السياسي والاجتماعي ، وكذلك مادة لآرائه الفلسفية الخاصة به ، يقول المعري :

سلكَ النجْدَ في قِطَار المنايا   قطَرِيٌّ ونجدةٌ وشبيبُ
شَبَّ فِكْرُ الحصيف نارًا فما يحـ   ـسن يوما بعاقل تشبيبُ
أين بقراطُ والمقلِدُ جاليـ   ـنوسَ هيهاتَ أن يعيشَ طبيبُ

(المعري ، أحمد ، المجلد الأول ، ص (65))

فأشار في مقطوعته هذه إلى أعلام كان لهم حضور تاريخي ، واختيار المعري هؤلاء الأعلام من بين مئات الأعلام من حيث أنهم توسعوا في الكلام عن صفات عرفوا بها في حياتهم .

و" لقد كان التاريخ من المصادر الثرية التي استقى منها المعري مادة ديوانه , فقد زخر ديوان اللزوميات بهذه الإثارات وقَلَّمَا يَمُرُّ القارئ بقصيدة لا يجد فيها إشارة إلى أحداث أو شخصيات تاريخية بعينها " (كنجيان ، علي ، 1422هـ ، ص (116)) ، وهذا المظهر الذي خرجت فيه القصائد عند المعري يُبَيِّنُ إلى أي حَدٍ استغل موضوع التاريخ فإذا به يراه مصدرًا لثلاثة مواقف : المعرفة والاعتبار والعمل ، فأخرج التاريخ من طبيعته المتجمدة التقريرية إلى صورةٍ حَيَّةٍ مُثْمِرَةٍ .

إن صياغة المعري تستمد أصولها من ثقافة فلسفية ، فهو يُعَدُّ رائد الفلسفة في الشعر العربي ، فقد جمع إلى موقفه من المجتمع الذي عاش فيه نظرة شاملة إلى الكون ، فَتَخَلَّى عن غنائية الشعور إلى غنائية الفكر ، وكأن المعري في اللزوميات أراد أن ينقل الشعر من غنائيته إلى فوائد معرفية يُسْتَعَانُ فيها بالكلمة الجميلة تعريضًا وتصريحًا وتقريرًا وإيحاءً .

يُعَدُّ أبو العلاء المعري رائد مدرسة الألغاز والأحاجي ، وهي " مدرسة فريدة في بابها ، جديدة في مناهجها ، اتضحت معالمها في القرن الخامس الهجري...أَسَّسَهَا أبو العلاء المعري، وأَعْلَى بناءها الحريري " (نبيه ، محمد ، 1406هـ ، ص (176)) ، وقد نَجِدُ في ديوان اللزوميات رَأْيًا في شعر غيره، ويتخذ من الأدباء رموزا في أدبه ، ومن ذلك قوله :

وجدتُ عواريّ الحياةِ كثيرةً   كَأَنَّ بقاءَ المرءِ شِعْرُ حبيبِ

(المعري ، أحمد ، المجلد الأول ، ص (86))
فالمعري يرى أن الإنسان يُعَانِي من مصائب الدنيا وكأنَّها شعر أبي تمام الذي كان يَشُوبُهُ الغموض والتعقيد.

استخدم أبو العلاء المعري في ديوانه (لزوم ما لا يلزم) كثيرًا من الألوان البديعية ، ولكن أهم لونين انتشر فيها بصورة واسعة الجناس والطباق ، فقد استخدمها في إفراط واضح ومبالغة شديدة ، حتى لا تكاد تخلو لزومية من لزومياته منها، فأكثر المعري من الأصباغ البديعية، ومَزَجَ المطبوع بالمصنوع، فنراه يتعمد البديع تعمدا ويتكلف ألوانه تكلفا ، وكأنه يضيف إلى لوازمه المتعددة لازمة جديدة .

أكثر أبو العلاء المعري من استخدام الجناس بجميع درجاته , وقد " اختار في استعمال الجناس أسلوبًا يوشك أن يكون مقصورًا عليه : ذلك أن يعقد المجانسة بين أول كلمة في البيت وبين آخر كلمة منه " (حسين ، طه ، 1983م ، ص (223)) ، ومن ذلك قوله :

أتراكَ يوما قائلا عن نيَّةٍ   خَلصَتْ لنفسك يالجوج تَرَاكِ
أدراكَ دهركَ عن تُقَاكَ بجهده   فَدَرَاكِ من قبل الفواتِ دَرَاكِ

(المعري ، أحمد ، المجلد الثاني ، ص (139))
حيث استطاع أن يُؤَلِّفَ جناسًا بين أول كلمة في البيت والقافية، وكذلك جانس بين آخر الشطر الأول و بين القافية ، ومن ذلك قوله :

كم تَنْصَحُ الدنيا ولا نَقبلُ   وفائزٌ منْ جدّه مُقْبِلُ

(المصدر نفسه ، ص (159))
فالجناس الماثل في (نقبل-مقبل) حَقَّقَ تماثلا على المستوى الصوتي ، إلا أن ارتباط تقبل بـ (لا) النافية للجنس أَدَّى إلى التضاد الدلالي ، ولَعَلَّ الشاعر يقصد هذه المماثلة الصوتية والتضاد الدلالي كي يعبر عن تلك الثنائية الجدلية ، فدور الجناس " قلما يكون شكليًّا ، لا صلة له بالمدلولات ، وأنه في أغلب الأحيان جاء منبها على ذات المدلول " (الطرابلسي ، محمد الهادي ، ، 1981م ، ص (68)) .

فَثَمَّةَ علاقة قوية بين الصوت والدلالة ، فقد قال الجرجاني: " وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسًا مقبولا ، ولا سجعًا حسنًا ، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه " (الجرجاني ، عبد القاهر ، 1412هـ ، ص (11)) ، وعليه عندما نفكر في القيمة الصوتية فإننا لا نفكر فيها منفصلة عن المعنى بل نفكر في المعنى من خلال مستويات متعددة تتجاوب تجاوبًا لا يسمح بالتفكير فيها منفصلة عن غيرها .

وهذا هو التصور الأسلوبي للصوت والبحث عن طاقاته ودلالاته ، فكلما قمنا بتحليل قطاع من التعبير ، وجدنا أنفسنا أمام ظاهرة جمالية ، فاللغة نفسها في جميع مظاهرها إنما هي تعبير خالص ، ومن ثم فهي علم جمالي ، وهي أصوات منظمة مهيأة من أجل التعبير.

والطباق منتشر في ديوان (لزوم ما لا يلزم) حتى لا تكاد تخلو لزومية من لزومياته منها ، فأحيانًا يكون غير متزاحم، ومن ذلك قوله :

ألا إنَّما الدنيا نُحُوسٌ لأهلها   فما في زمانٍ أنت فيه سُعُودُ

(المعري ، أحمد ، المجلد الأول ، ص (175))
وأحيانًا يكون الطباق متزاحمًا يُغَطِّي البيت ، ومن ذلك قوله:

تَخَالَفَتِ الأغراض ناسٍ وذاكرٌ   وسالٍ ومُشْتَاقٌ وبانٍ وهادمُ

(المصدر نفسه ، المجلد الثاني ، ص (220)) .
فالإكثار منه في السياق الواحد يُقَوِّي تصوير الحركة والتوتر فيه ، ويزيد جوانبها تدقيقًا .

وكَأَنَّ البديع في اللزوميات كان رَمْزًا يَحْمِلُ دلالات لرفض الواقع وإنكاره ، فالطباق يرمز إلى ما نشاهده في الحياة من تناقض ، والجناس لما نجده من تشابه المظهر واختلاف الجوهر .

-التجديد في الأسلوب والصورة الشعرية :

استخدم أبو العلاء المعري طاقات اللغة في الدلالة والتركيب والحقيقة والمجاز وغيرها من وسائل التعبير الفني ليعبر عن جوانب تجربته الشعرية ، وكان للصورة في ديوان (لزوم ما لا يلزم) دورها الواضح في تصوير موقفه من الحياة تجاه الكثير من القضايا الفكرية والاجتماعية في إطار رؤية جمالية خاصة ، يقول المعري :

لقد جاءنا هذا الشِّتَاءُ وتحتَهُ   فقيرٌ معرَّى أو أميرٌ مُدَوَّجُ

(المصدر نفسه ، المجلد الأول ، ص (142)) .
فما أروع تلك الصورة الشعرية إذ ترى فصل الشتاء زاحفًا بزمهريره ، وترى فقيرًا بائسًا يستقبل هذا الفصل عاريًا لا يجد ما يدفئه أو يقيه ، ثم ترى إلى جانبه أميرًا ثريًّا متدثرًا بِلِحَافٍ لا يكاد يشعر بألم البرد القاسي .

وللصورة الشعرية مصادرها ، وكانت أكثر تلك المصادر وضوحًا في ديوانه اللزوميات الثقافة بجوانبها التاريخية والعلمية . أَمَّا الثقافة التاريخية فهي من أكثر المصادر التي استعان بها أبو العلاء المعري في تكوين صوره الشعرية ، فقد حَفِلَ شعره بالإشارات التاريخية، ومن ذلك قوله:

ومحمد هو الْمنبأ يشتكي   لمكانِ أَكْلَتِهِ انقطاعَ الأَبْهرِ

(المصدر نفسه ، المجلد الأول ، ص (308)) .
ففيه إشارة إلى الأكل المسموم الذي أكله النبي - ﷺ- فقطعت أبهره . ويقول المعري :

تلك عجوزٌ ألفتْ شرَّها   قبل بني فهْرٍ وإيلافها

(المصدر نفسه ، ص (101)) .
حيث جعل الدنيا عجوزا شَبَّتْ على الشر وشابت عليه قبل إيلاف قريش رحلتي الشتاء والصيف . وهذه الإشارات التاريخية تُؤَكِّدُ معرفته الواسعة وتُظْهِرُ ثقافته المتنوعة .

وارتفع في شعر المعري أصداء الثقافات المختلفة ، واعتمد عليها في رَسْمِ صوره ، وقد أشار الدكتور طه حسين إلى استخدام المعري لاصطلاحات العلوم من نحو وصرف وعروض وفقه بوصفها مادة للصور الشعرية فيقول : " والعَجَبُ أن تلقى في هذه الاصطلاحات المستعارة ، تشبيهات صحيحة جيدة، مع أنها في أنفسها أبعد ما تكون من ظرف الشعراء" (حسين ، طه ، 1983م ، ص (222)) .

فلم يتوقف المعري في ثقافته عند حدود ضَيِّقَةٍ ، وإنما وَسَّعَ آفاقه وضرب في كل ناحية بسهم وأخذ من كل فن بنصيب ، وبذلك صارت المسائل العلمية في متناوله يستمد منها ما يشاء ويجعلها مصدرًا من مصادره .

ووَضَحَتْ النزعة الفكرية في ديوان (لزوم ما لا يلزم) فميله لاستخدام أسلوب الحكمة والإرشاد العقلي يمثل جزءا بارزًا من تجارب المعري التأملية ، يقول المعري :

لأمواهُ الشَّبيبة كيف غِضنهْ   وروضات الصِّبَا كاليَبْسِ إضْنَهْ

(المعري ، أحمد ، المجلد الثاني ، ص (289))

فقد صَوَّرَ المعري بؤسه ويأسه تصويرا هادئًا ولكنه مؤثر ، وذهب المعري بتصويره إلى حسرات لا تنقضي وإلى تعجب حزين لا ينتهي . ويقول المعري:

وخَالَفَ ناسٌ في السَّجَايَا ليُشهروا   كما جُعِلَ التصريعُ ختمَ القصائدِ

(المصدر نفسه ، المجلد الأول ، ص (200)) .

وقد التمس المعري من التصريع تشبيهًا طريفًا عندما شَبَّهَ سلوك مجموعة من الناس همها مخالفة المألوف والخروج على قوانين الأشياء وطبائعها بصنيع بعض الشعراء الذين يجعلون التصريع في ختم القصائد وليس في ابتدائها ، فالهدف في الحالتين واحد وهو طلب الشهرة ونَيْلُهَا بمخالفة الأعراف .

-التجديد في الموسيقى الشعرية :

اِلْتَزَمَ أبو العلاء المعري في ديوانه (لزوم ما لا يلزم) ترتيب قصائده ومقطوعاته على حسب البحور العروضية كما رَتَّبَهَا الخليل لا من حيث أوزانها الأصلية ، ولكن من حيث تشكيلاتها الموسيقية المختلفة ، فبدأ بالبحر الطويل ثم انتقل إلى البسيط ثم الوافر ثم الكامل ثم سائر البحور بحسب ترتيبها العروضي المعروف ، ولكي يتجنب المعري الملل والسآمة كان لا يأتي بوزن من الأوزان على هَيْأَةٍ واحدة بل غالبًا ما يستقصي أضربه ، وقد حَقَّقَ له ذلك وفرة في الموسيقى وتوزيعًا في الألحان ، وفي ذلك من التنوع في النغمات ما لا يخفى ، فاختلف بذلك عن الشعراء السابقين ، وفي هذا ما يُفَرِّقُ بين ديوانه اللزوميات وغيرها من دواوين الشعراء السابقين .

وتتراوح القافية في اللزوميات " بين ثلاثة أصوات وثمانية أصوات ، أي أن عدد الأصوات التي تتكرر في أواخر الأبيات يبدأ بثلاثة ثم يتدرج هذا العدد حسب ما في القافية من كمال موسيقي حتى يصل إلى ثمانية " (أنيس ، إبراهيم ، 1952م ، ص (276)) ، فَسَمَا المعري بموسيقى القافية ، يقول المعري :

راعتكَ دنياك من رِيعَ الفؤادُ وما   راعتك في العيش من حسن الْمُراعاة
كأنما اليومُ عبدٌ طالبٌ أمةً   من ليلةٍ قد أَجَدَّا في المساعاة

(المصدر نفسه ، المجلد الأول ، ص (127)) .
حيث راعى المعري هنا أَلِفَيْ مد هما بمثابة حرفين ، وحركتين قصيرتين، ثم راعى حرفًا آخر هو العين، بالإضافة إلى حرف الروي وحركته .

ونظرا لما للقافية من أهمية في بناء القصيدة في الشعر العربي، وبالتالي للكلمة الحاملة لتلك القافية التي تمثل مقطع البيت ، يقول المعري :

سحائبُ مبرقاتٌ مرعداتٌ   لمهجَةِ كل حَيٍّ موعداتُ

(المصدر نفسه ، ص (112)) .
فمن الملاحظ أنه لم يخل بيت في هذه القصيدة من بعض حروف المقطع وهي حروف قد تقل وقد تكثر قبل أن تأتي مجتمعة في كلمة المقطع ، ومن شأن هذه الظاهرة أن تمكننا من استنتاج أن المعري شديد الحرص على أن يُمَهِّدَ لقافيته بذكر أكبر عدد ممكن من مكونات اللفظة قبل بلوغها. وما يمكن استنتاجه من ظاهرة الحرص على ترديد أصوات المقطع في البيت قبله أن لفظة المقطع تسعى إلى السيطرة إيقاعيًّا بِتَفَشِّي جرس مكوناتها في فضاء البيت .

وعند التقاء التماثل الوزني مع التماثل الصوتي تجتمع الألفاظ فيما يمكن أن يُعدَّ ضربًا من التوازن التجنيسي الذي ينتج إيقاعًا يقوم على أساسين : أحدهما إطاري ولده الوزن، وثانيهما داخلي ينتج عن تماثل الأصوات ، لكنه لا يصل إلى مستوى الجناس التام ، يقول المعري:

فقدَتْ في أيامك العلماءُ   وادلهمت عليهمُ الظلماءُ

(المصدر نفسه ، ص (35)) .
لزم المعري في هذه القصيدة الميم مع الهمزة المضمومة ، وصاغه على البحر الخفيف ، وبالنظر إلى مكونات النص من الحروف تَبَيَّنَ أنه لم يخل بيت من حرف الميم ، والعدد الأقصى للميمات في البيت الواحد هو ستة كما في البيت الأول . ومن شأن انتشار صوت الميم في كامل أنحاء النص موزعًا على كل الأبيات في كامل أجزائها أن يجعل جرسه بِغُنَّتِهِ المميزة يطغى على كامل إيقاع النص ويملأ أذني المتلقي.

وقد أدرك المعري ما يَتَطَلَّبُهُ الشعر من تنغيم فوفر كل ما يُعِينُ على تجويد الرنين في شعره ، وعمد إلى الوسائل الفنية التي تحقق هذا الغرض ، ومن بينها التصريع ، وقد جاء في مطالع القصائد ، كقوله :

لأمواهُ الشَّبيبة كيف غِضْنَهْ   وروضات الصِّبَا كاليَبْسِ إِضْنَهْ

(المصدر نفسه ، المجلد الثاني ، ص (289)) .

وقد أشار الدكتور طه حسين إلى ما أَضْفَاهُ التصريع في هذا البيت من نغم فيقول : " فانظر إلى هذا التصريع بين ((غضنه)) و ((إضنه)) ، كيف يرتفع بالبيت ، أو قل يثب به إلى هذه الجزالة الشائعة في شطريه " (حسين ، طه ، 1983م ، ص (423)) ، ولَعَلَّ تلك الجزالة التي يشير إليها هي الطاقة الموسيقية الإضافية التي أَضْفَاهَا المعري على الصياغة حين وُفِّقَ في التزام ما لا يلزم في قوافيه، وكأنه يشكل تشكيلاً هندسيًّا متناسقًا.

ويمكن أن نعد الجناس صيغة صوتية وإيقاعية ودلالية تتخذ من حاستي السمع والبصر مُسْتَوَيَيْنِ يؤديان إلى التقارب الدلالي، إذ تَبْرُز حاسة السمع من خلال تتبع إيقاع الأحرف عند التصاقها ، وتَبْرُز حاسة البصر من خلال تتبع رسم الحروف وما يتفق منها وما يختلف ، وبذلك فإن بُنْيَةَ التجانس ليست ذات قيمة إيقاعية فحسب وإنما بنية تعمل على المستوى الدلالي وتدفعه إلى النضج والاكتمال .

ولزوم ما لا يلزم ضغط اختياري إضافي يَمَسُّ كل جوانب البناء اللغوي ، وبالنجاح فيه يتحول ما كان يبدو عنتًا وتكلفًا إلى لبنة جديدة تُضَافُ إلى لبنات الإبداع الشعري في النص تدعم خاصة جانب الإيقاع فيزداد بها نُضْجًا وصلابةً ، إذ يمكننا أن نستنتج أن ظاهرة لزوم ما لا يلزم هي عملية دعم جَلِيَّةً لإيقاع النص .

- التجديد في المضامين الشعرية :

اتسعت طاقة الشعر في العصر العباسي اتساعًا مشهودًا ، وقد تَجَلَّى ذلك في التطورات التي ظهرت في موضوعات الشعر العباسي ، فقد تَحَلَّلَ بعض الشعراء من الجمود عند الموضوعات القديمة ، وأخذوا يُجَدِّدُون ويُطَوِّرُونَ وفق العوامل البيئية المختلفة التي ظهرت تأثيراتها المباشرة على الشعر والشعراء . وهناك في ديوان (لزوم ما لا يلزم) قصائد ومقطوعات تعبر عن تجارب فكرية وشعورية عميقة ، مما يُشْعِرُ القارئ بالصدق الفني من خلال وضوح تجربته ورؤيته للحياة في عصره من مختلف جوانبها الفكرية والاجتماعية ، فالمعري ذو أصالة فردية تتضح شخصيته في شعره ، وليس من الغارقين في القوالب التقليدية ، فيُحَقِّقُ في شعره رؤيته وموقفه الفكري وبناءه الفني الخاص .

وانفرد ديوان (لزوم ما لا يلزم) بخلوه من أبواب الشعر المطروق: المدح ،والرثاء ، والوصف ، والغزل ، والفخر ، وانصرف ناظمه إلى تمجيد الله - عز وجل - ونقد الحياة وبحث مشكلات الحياة والموت، وقد صَرَّحَ بذلك في مقدمة هذا الديوان إذ يقول : " فمنها ما هو تمجيد الله الذي شرف عن التمجيد، ووضع المنن في كل جيد ، وبعضها تذكير للناسين، وتنبيه للرقدة الغافلين ، وتحذير من الدنيا "

(المعري، أحمد ، ص (5)) ، فما تكاد تخلو قصيدة أو مقطوعة في ديوانه دون أن يُمَجِّدَ الله فيها تصريحًا أو تلميحًا، فلم يُعْنَ بالأغراض الشعرية المتداولة ، واتخذ لنفسه مسارًا آخر غَرَّدَ به خارج سربه ، أَوْدَعَه أفكاره وآراءه في الموت والحياة والأديان والنسك والعبادة والزهد والفلسفة والعقل والنقد والأخلاق . ويبدو أن المعري نهج منهجا في الأغراض اختطه لنفسه وابتدعه ابتداعًا خالف فيه من قبله ولم يلحقه فيه من بعده.

قام المعري بِعَرْضِ الأغراض والموضوعات بصورة أدق وأعمق، وأخذ يُنَمِّي بعض جوانب الشعر لتخرج منه فروع جديدة ، وبرزت موضوعات جديدة لم تكن شائعة في الشعر العربي القديم ، ومن أبرز تلك الموضوعات والأغراض :

-الشعر الفلسفي :

يرى بعض الدارسين أن ديوان (لزوم ما لا يلزم) فَنٌّ جديد في الشعر العربي ، ورائد هذا الاتجاه الدكتور طه حسين حيث يقول :" وليس من شعراء العرب كافة ، من يشارك أبا العلاء في خصال امتاز بها : منها أنه أحدث فَنًّا في الشعر ، لم يعرفه الناس من قبل وهو الشعر الفلسفي الذي وضع فيه كتاب اللزوميات ، وربما خُيِّلَ إلى الناس أن الشعر الفلسفي قديم عند العرب ، نظم فيه زهير ، وعدي بن زيد ، وأبو العتاهية، وأبو الطيب ، لأنهم طرقوا فنون الحكمة والزهد ، وأنواع العبرة والعظة ، ولكن هذا النوع من الشعر غير الذي أنشأه أبو العلاء. إنما أنشأ أبو العلاء فَنًّا من الشعر استنزل الفلسفة من منزلتها العلمية المقصورة على الكتب والمدارس، إلى حيث تسلك طريق الشعر إلى قلوب الناس " (حسين ، طه ، 1983م، ص (228)) ، فالشعر الفلسفي قديم عند العرب نظم فيه بعض الشعراء السابقين ، وكانت أكثر آرائهم ونظرياتهم متصلة بالفلسفة الأخلاقية ، وليس نظريات خاصة يقيم عليها الأدلة .

أما أبو العلاء المعري فقد كانت فلسفته مستمدة من الفلسفة اليونانية ، والفلسفة الهندية ، والفلسفة الفارسية ، وكتب الدين ، "وكان استوى له عقل فلسفي تمثل كل ما أنتجه الفكر الإنساني من فلسفات اليونان ومن فلسفات الشرق الهندية وغير الهندية ، وأخذ يُكَوِّنُ له فلسفة تجمع في أصولها بين تلك الفلسفات وفلسفة الفكر الإسلامي وخاصة عند المتكلمين . فلسفة هي مزيد من تلك المذاهب الكثيرة التي تمثلها تمثلاً رائعًا، والتي التقت في فكره لتتحول إلى صورة فلسفية جديدة ، أو قل إلى صورة فلسفية علائية لها أصولها ومقوماتها وطوابعهاالمميزة "(ضيف ، شوقي ، (د.ت) ، ص (112))، فاستطاع أن يُخْضِعَ الفلسفة والعلم للشعر ، وأن يُثْبِتَ مدى طواعية الفن للتعبير عن أدق الأفكار الفلسفية وأعمقها ، فزاوج بين الشعر والفلسفة مزاوجة نادرة حفظت للشعر قيمته وللفلسفة شيوعها وسلطانها، " وقد تَمَّ على يديه تحويل الشعر إلى بناء فلسفي تَحَوَّلَتْ قصائده معه إلى مجموعة من النصوص الفلسفية " (عبدالمعطي ، محمود ، 1428هـ ، ص (256)) ، فقد يأتي بالنظرية ويقيم عليها الدليل ، يقول المعري :

يَدُلُّ على فضلِ الممات وكَوْنِـهِ إراحـةَ جسمٍ أن مَسْلَكَهُ صـعـبُ
ألم تَرَ أَنَّ المجدَ تقاك دونهُ شدائدُ من أمثالها وَجَبَ الرّعبُ

(المعري ، أحمد ، المجلد الأول ، ص (51))

حيث إنَّ العقل الفلسفي أنتج له أن الحياة عناء للأجسام ، وانصرف بأسلوبه إلى مذهب الفلاسفة ، فعرض الأمر على أنه قضية فلسفية ، ثم يلقي الحجج والبراهين عليها ، فجعل الموت الذي يرغب فيه الحكيم صعب المرام كالمجد كلاهما لا ينال إلا بعد الجهد ولا يبلغ إلا بعد تكلف المشقات .

جعل أبو العلاء المعري العقل وحده أساسًا لآرائه الفلسفية ، فالعقل فوق كل شيء ، والعقل عنده أفضل ما منحه الإنسان ، فهو قادر على الوصول إلى الحقيقة ، " فلم يقبل إلا ما ارتضاه برهانه ، ولم يتخذ له إمامًا غير العقل في صبحه ومسائه " (العقاد ، عباس ، 1980م ، ص (326)) ، فالعقل للفرد كالنبي للأمة يهديه إلى سواء السبيل ويُرْشِدُهُ إلى الفضيلة ويَنْهَاهُ عن الرذيلة .

قَدَّمَ المعري الفكرة الفلسفية في قالب شعري ترتكز على العقل والحواس وتتشابك بالعواطف والمشاعر، " فانتقل الشعر على يديه من الخيال إلى الحقيقة " (زيدان ، جرجي ، 2003م ، ص (97)) ، حيث أَعْمَلَ عقله وأحاسيسه في مواقفه وتجاربه ، فلا نجده يحيد عن الواقع، ثم لا يكتفي بهذه المواقف العقلانية ، وإنما يُحَاوِلُ الهداية والإرشاد إلى الصواب . ويبدو أن المناخ الفكري والقدرة اللغوية التي أتاحت له حرية الحركة الشعرية في صياغة ما في داخله من فكر فلسفي كانا وراء ظهور ما سمي بالشعر الفلسفي ، هذا اللون من الشعر الذي يعد بحق إضافة لها قيمتها في تيار التجديد العام للشعر .

- مناجاة الحيوان :

ذهب أبو العلاء المعري في ديوانه (لزوم ما لا يلزم) إلى مناجاة الحيوان ، " وقد اِبْتَدَعَ في شعره مناجاة الحيوان" (الزيات ، أحمد ، (د.ت) ، ص (350)) ، فحاور الديك والذئب والشاة وحذر الثعلب وانتقد الحمامة ، وكانت قصائده في تلك المناجاة أكثر رقة وأسهل تعبيرًا ، يقول المعري محاورًا الديك :

أيا ديكُ عُدَّتْ من أياديكَ صيحةٌ — بعثت بها مَيْتَ الكرى وهو نائمُ

(المعري ، أحمد ، المجلد الثاني ، ص (217))

ظَلَّ شعاع أبي العلاء المعري وهَّاجًا مُتَمَيِّزًا بما أَدْخَلَهُ من أنماط التجديد والتلوين والتصرف ، واستطاع ببراعته الفنية وقدرته الإبداعية إعادة تشكيل شعره وإضْفَاء شيء من الطرافة والتجديد عليه حسب صنعته الفنية ، وكانت حركات التطوير هذه بدافع الرغبة إلى الجديد وليست تَخَلُّصًا من عمود الشعر وصرامته وإلا ما ذهب المعري إلى الزيادة في القيود ، فأضاف إلى المواد والعناصر التي رسخت في ذهنه من شعر سابقيه عناصر جديدة أبدعها خَلْقًا آخر في كثير من الأحيان، فتنوعت عناصر التجديد بتنوع ثقافته وإدراكه وتجاربه ، وكانت تتألف في ذهنه وخياله من كل ما وقع عليه عقله وفكره وما يرتبط من مشاعر ومواقف وجدانية بعيدة الغور ، واستطاع المعري بما ملك من إبداع أن يَمْزُجَ بينها في بِنَاءٍ فَنِّيٍّ مُتَّحِدِ الأجزاء مُنْسَجِمِ الأطراف وهذا هو عنوان أصالته وشخصيته المبدعة .

تحليل النتائج :

نَتَسَلَّحُ بمناهج حديثة مفيدين من الأسلوبية، وكل ذلك من أجل تحديد مستوى الإبداع الشعري عند المعري تحديدًا معياريًّا دقيقًا والحكم عليه، كما نستعين بالكتب الفكرية الأخرى لمعرفة مدى الحكمة عند المعري حتى نحكم عليه إلى أي مدى كان شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء.

الخلاصة والتوصيات :

إن شعر المعري رغم كل ما حَظِيَ به من اهتمام الْمُحْدَثِينَ ما زال بحاجة إلى تحقيق عملي دقيق، كما أَنَّهُ بحاجة إلى دراسات كثيرة ومتجددة في مختلف النواحي الفنية للكشف عن جوانب متنوعة من الإبداع الفني .

أبانت الدراسة أن لغة المعري في ديوان اللزوميات قد اتخذت الوجهة الإبداعية حيث التزم الاتجاه العربي الفصيح في أرقى صوره، وأضاف عليه من موهبته وعبقريته ما جعل لغته مستقاة من الإبداع الفني.

كَرَّسَ المعري شعره في لزومياته للتعبير عن تجربته الخاصة وتأملاته ونظراته في الحياة والناس والوجود ، وهي نظرات وتأملات أعلت من قيمة الأدب ودوره.

يُعَدُّ المعري رائد الفلسفة في الشعر العربي، فقد جمع إلى موقفه من المجتمع الذي عاش فيه نظرة شاملة إلى الكون، فَتَخَلَّى عن غنائية الشعور إلى غنائية الفكر، وكأن المعري في اللزوميات أراد أن ينقل الشعر من غنائيته إلى فوائد معرفية يُسْتَعَانُ فيها بالكلمة الجميلة تعريضًا وتصريحًا وتقريرًا وإيحاءً.

- المراجع و المصادر :

(1) المعري ، أحمد بن عبد الله ، 1428هـ ، سقط الزند ، ط1 ، المكتبة العصرية، لبنان .
(2) المعري ، أحمد بن عبدالله ، 1427هـ ، اللزوميات ، المعري ، ط1، دار صادر ، لبنان .

- المراجع :

(1) أنيس ، إبراهيم ، 1952م ، موسيقى الشعر ، ط2 ، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر .
(2) الجرجاني ، عبد القاهر ، 1412هـ ، أسرار البلاغة ، قرأه وعلق عليه محمود محمد ، ط1 ، دار المدني ، جدة .
(3) حسين ، طه ، 1983م ، تجديد ذكرى أبي العلاء المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين ، ط2 ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة ، لبنان .
(4) حسين ، طه ، 1983م ، مع أبي العلاء في سجنه المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين ، ط2 ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة ، لبنان .
(5) خليف ، يوسف ، (د.ت) ، في الشعر العباسي نحو منهج جديد ، (د.ط) ، مكتبة غريب ، القاهرة .
(6) الزيات ، أحمد بن حسن ، (د.ت) ، تاريخ الأدب العربي ، ط28 ، دار الثقافة، لبنان .
(7) زيدان ، جرجي ، 2003م ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ط1 ، دار نوبليس، لبنان ، 2003م .
(8) زيدان ، عبد القادر ، 2006م، قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري ، ط1 ، دار الوفاء ، الإسكندرية .
(9) السامرائي ، إبراهيم ، 1409هـ ، دراسات في تراث أبي العلاء السامرائي ، ط1 ، دار الضياء ، الأردن .
(10) ضيف ، شوقي ، 1976م ، الفن ومذاهبه في الشعر ، ط9 ، دار المعارف ، مصر ، 1976م .
(11) ضيف ، شوقي ، (د.ت) فصول في الشعر ونقده ، ط2 ، دار المعارف، مصر.
(12) طاهر ، محمد ، 1407هـ ، مذاهب أبي العلاء في اللغة وعلومها ، ط1 ، دار الفكر ، سوريا .
(13) الطرابلسي ، محمد الهادي ، 1981م ، خصائص الأسلوب في الشوقيات، (د.ط)، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، تونس .
(14) عبد المعطي ، محمود علي ، 1428هـ ، تجليات الإبداع الأدبي دراسات في العصر العباسي الثاني، ط1 ، دار النشر الدولي ، الرياض .
(15) عبد العظيم ، محمد ، 2008م ، الإبداع ولزوم ما لا يلزم في الأدب ، ط1 ، دار الفارابي ، لبنان.
(16) العقاد ، عباس محمود ، 1980م ، رجعة أبي العلاء المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان .
(17) فخر الدين ، جودت ، 1984م ، شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري، (د.ط) ، منشورات دار الآداب ، لبنان .
(18) كنجيان ، علي ، 1422هـ ، مصادر ثقافة أبي العلاء المعري من خلال ديوان لزوم ما لا يلزم ، ط1 ، الدار الثقافية للنشر ، مصر.

(19) المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : يشتمل على وصف المهرجان الذي أقامه المجمع العلمي العربي لذكرى مرور ألف سنة على مولد أبي العلاء وما قيل فيه من القصائد والخطب 1414هـ ، ط2 ، دار صادر ، لبنان .

(20) نبيه ، محمد ، 1406هـ ، بلاغة الكتاب في العصر العباسي , ط2، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة.